مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
ISSN: 2170-1822,
EISSN: 2600-6189
مجلد: 13 عدد 01 جوان 2022
ص.ص 312 - 349.
العنوان: المشترك الإنساني وضرورته للحضارة في فكر الأستاذ عبد السلام ياسين

المشترك الإنساني وضرورته للحضارة في فكر الأستاذ عبد السلام ياسين

بدران بن لحسن

أستاذ مشارك باحث/ مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية/ جامعة قطر

bbenlahcene@qu.edu.qa

Orcid.org/0000-0002-9742-2108

تاريخ الإرسال:09 / 12/ 2021 ؛ تاريخ القبول: 03/ 05/ 2022

Title - Times New Roman, Size-12, Interline simple,

Abstract: This paper seeks to address the concept of the human commonalities, its components and its necessity for human civilization in Abdessalam Yassine thought. Yassine has a prominent position in thought and *da'wah* in the Maghreb in general, and Morocco in particular; He combined the practice of education, *da'wah*, Sufism, activism, and political struggle. The paper discussed the concept of the human, its components in his thought, and its necessity to human civilization today.

To achieve its objectives, the study relied on induction as a method in tracking the subject in question in Yassine's writings, and in what is written about him. The analytical

approach was also used to find out the meaning and dimensions of the concept in his writings.

The paper concluded that Yassin considers the human commonalities to be extremely important, in terms of faith and history; that is to say, our faith imposes the protection and service of humanity, and in terms of history, the civilizational experience of humanity made people live the common in reality in their daily lives. Therefore, they are obliged to think about their common destiny. Moreover, the Muslim is required to interact with this human commonalities in a positive way, and seeks to interact with human civilization in order to convey to it the good latent in Islam, and to help humanity to overcome the disintegration it is exposed to, and the fragmentation it suffers from, at the level of perceptions, values, knowledge and society.

Keywords: Commonalities, Humanity, Civilization, Yassin, Islam

الملخص:

تسعى هذه الورقة إلى تناول مفهوم المشترك الإنساني ومكوناته وضرورته للحضارة الإنسانية في فكر الأستاذ عبد السلام ياسين، لما يمثله الأستاذ ياسين من موقع في الفكر والدعوة في المغرب العربي عموما، والمملكة المغربية بوجه خاص؛ حيث جمع بين ممارسة التعليم، والدعوة، والتربية الصوفية، والنشاط الدعوي، والنضال السياسي، كما أنه ترك مؤلفات تناولت هذا الموضوع المهم لحضارتنا اليوم. وتناولت الورقة

الموضوع في عناصر تضمنت مفهوم المشترك الإنساني عموما، ثم مفهومه في فكر الأستاذ ياسين، ثم مكونات المشترك الإنساني في فكره، ثم مدى ضرورة المشترك الإنسانية للحضارة الإنسانية اليوم.

اعتمدت الدراسة لتحقيق أهدافها على الاستقراء منهجا في تتبع مفردات الموضوع محل البحث في مجمل كتابات عبد السلام ياسين، وفي ما كتب عنه. ثم المنهج التحليلي لتلك النصوص المستقرأة واستخراج أبعاد الموضوع في كتاباته.

وتوصلت الورقة إلى أن عبد السلام ياسين يعتبر المشترك الإنساني بالغ الأهمية، من حيث المبدأ الإيماني الذي يفرض عليه حماية الإنسانية وخدمتها، ومن حيث التاريخ فإن الخبرة الحضارية للبشرية جعلت الناس يعيشون المشترك ويلمسونه في يومياتهم ويدفعهم للتفكير في وجدة مصيرهم. وأن المسلم مطالب بأن يتفاعل مع هذا المشترك الإنساني تفاعلا إيجابيا، ويسعى للتواصل مع الحضارة الإنسانية ليوصل لها الخير الكامن في الإسلام، وليساعد الإنسانية على تجاوز التفكك الذي تتعرض له، والتشظي الذي تعاني منه، في مستوى التصورات والقيم والمعرفة والاجتماع.

الكلمات المفتاحية: المشترك، الإنساني، الحضارة، ياسين، الإسلام.

مقدمة:

مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
ISSN: 2170-1822,
EISSN: 2600-6189
مجلد: 13 عدد 01 جوان 2022
ص.ص 312 - 349.
العنوان: المشترك الإنساني وضرورته للحضارة في فكر الأستاذ عبد السلام ياسين

من سمات عصرنا أن ان التواصل والاتصال بين مختلف أقطار العام وشعوبه ودوله وصلت إلى حد كبير من التقارب والتداخل والارتباط. فنحن نعيش في عالم متشابك في اتصالاته، ومترابط في مصيره، وقريب في مسافاته، وموحد في طرح مشكلاته بفعل تقارب المسافات التي ساهمت فيه الثورة التقنية ووسائط التواصل الاجتماعي، وارتفاع الضمير الإنساني إلى طرح قضاياه في أفق عالمي، بالرغم من محاولة عولمته وقولبته وفق النموذج الليبرالي بوسائل القوة المختلفة (ياسين، 2009: 193).

وفي ظل واقعنا العالمي المضطرب الذي يشهد صراعات متعددة بين الرؤى الكونية والقيم والنظم والكيانات الثقافية والدينية والحضارية بما يهدد ﴿الاجتماع الإنساني والعمران البشري﴾، وبما يعود على ﴿العمران الأخوي﴾ (ياسين، 2001: 7؛ ياسين، 2000: 195-197) بالتهديد، فإن طرح موضوع المشترك الإنساني، يعد موضوع الساعة، في ظل الأزمات والصراعات الفكرية، والإقصاء والنبذ في عصرنا الراهن. كما أننا في أمس الحاجة إلى تأسيس المشترك الإنساني نظريا وممارسته عمليا، والبحث عن نماذج وقدوات علمية وفكرية ممن قدموا أطروحاتهم في هذا المجال.

ويعتبر الأستاذ عبد السلام ياسين (الإمام عبد السلام بن محمد بن سلام بن عبد الله بن إبراهيم؛4 ربيع الثاني1347 - 28 محرم

1434هـ/ 19 سبتمبر 1928- 13 ديسمبر 2012)، ممن سعى إلى تناول المشترك الإنساني في كتاباته. ويعتبر الأستاذ ياسين داعية ومصلحا وناشطا سياسيا ومربيا، ومؤسسا ومرشدا لجماعة العدل والإحسان في المملكة المغربة. مارس ياسين التعليم في المؤسسات التعليمية الرسمية فترة طويلة من حياته المهنية، وتفرغ بعدها للإنتاج الفكري والتربية العملية، وتأسيس جماعة دعوية إصلاحية أقامها على أفكاره التي أنضجها خلال سنين من عمره. ترك مؤلفات كثيرة تؤسس لنظريته في التغيير التي سماها ﴿المنهاج النبوي﴾ (ياسين، 1989: 23-27)، وتناول فيها المرجعية التي ينطلق منها، وأهم المفاهيم والقيم التي يستند عليها، وكذلك مجالات الإصلاح. كما تتناول كتبه القضايا التي واجهها في حياته وفي نشاطه الفكري والدعوي والاجتماعي والسياسي. وقد تعرض في حياته لكثير من التضييق من قبل نظام الحكم، حيث سجن، وفرضت عليه الإقامة الجبرية (ياسين.نت، 2014).

من بين كتبه؛ الإسلام بين الدعوة والدولة (1971)، والإسلام غدا (1972)، والإسلام أو الطوفان (1974)، والمنهاج النبوي تربية وتنظيما وزحفا (1982)، ومقدمات في المنهاج (1989)، ونظرات في الفقه والتاريخ (1990)، ومحنة العقل المسلم بين سيادة الوحي وسيطرة الهوى (1994)، والشورى والديمقراطية (1996)، والعدل

(الإسلاميون والحكم) (2000)، وغيرها من الكتب (ياسين.نت، 2014).

ويعتبر عبد السلام ياسين من الذين سعوا إلى رأب الصدع بين العلم والضمير في الحضارة الإنسانية (ياسين، 2000: 345-347) ، وحاول خط طريق يخرج الإنسانية من فوضى الحضارة المعاصرة، التي أدخلت البشرية في اهتلاك خطير، وقدم بالإضافة على نشاطاته الدعوية والفكرية الميدانية، رؤيته الإصلاحية تحت مسمى ﴿نظرية المنهاج﴾ التي تعالج تصدعات الحضارة المعاصرة وتستعيد للإنسانية إنسانيتها على هدي القرآن وخط النبوة. كما سعى إلى التأكيد على أهمية المشترك الإنساني لإنقاذ الحضارة الإنسانية وإنقاذ الانسان من تصدعات الضمير والوحي ومن الصراعات التي انتجتها الرؤى الاختزالية المادية للحضارة المعاصرة.

ولذلك فإن هذه الورقة تنطلق من مفهوم المشترك الإنساني الذي كثر تداوله في أيامنا، وكتب فيه كثير من المفكرين والمثقفين والعلماء والدعاة وأصحاب الرأي، وحاولوا تأصيله والترويج له (الحارثي، 2020: 62-63). غير أنها تسعى من خلال تناول الموضوع في سياق فكر الأستاذ عبد السلام ياسين إلى معالجة إشكالية المشترك الإنساني وضرورته للحضارة الإنسانية من خلال فكر وكتابات عبد السلام ياسين.

وتحت هذه الإشكالية المركزية، تسعى هذه الورقة إلى الإجابة عن مجموعة تساؤلات تكشف عن امتدادات الإشكالية المركزية في فكره. ففي واقع يشهد صراع القيم، وصراع النماذج المعرفية مع موجات «الحداثة السائلة»(Bauman, 2007) ، حتى سالت المفاهيم والمعايير والحقائق، ويشهد حروبا وصراعات وتمييزا مقيتا بين الشمال والجنوب، وبين الغرب والعالم(Huntington, 1996) ، ويشهد صراع رؤى كونية مختلفة متصارعة، لكل منها رؤيته للخلق وللعالم والكون والحقيقة والقيم والانسان والتاريخ!

بحيث تطرح الورقة أسئلة جزئية تخدم الإشكالية الأساس، فتتساءل عما هو المشترك الإنساني؟ وماذا يقصد الأستاذ ياسين بالمشترك الإنساني؟ وما هي مكونات المشترك الإنساني؟ وهل ضرورته للإنسان والحضارة الإنسانية هي ما يحدد اشتراكه؟ وما هي مخاطر غياب هذا المشترك على الإنسان والحضارة؟

ذلك ما تحاول هذه الروقة الإجابة عنه، ولكن من خلال منظور الأستاذ عبد السلام ياسين عليه رحمة الله، تثمينا للجهد العلمي والفكري الذي أنجزه، واستثمارا للمعطى العلمي والفكري والثقافي الذي ورثه لنا، وربطا لحلقات التفكير الإسلامية عبر أجيالها المتعاقبة، استجابة للتحديات التي تواجه الانسان والحضارة، في الدائرة الإسلامية وفي الدائرة العالمية على حد سواء. فتعمل الورقة على

مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
ISSN: 2170-1822,
EISSN: 2600-6189
مجلد: 13 عدد 01 جوان 2022
ص.ص 312 - 349.
العنوان: المشترك الإنساني وضرورته للحضارة في فكر الأستاذ عبد السلام ياسين

تحديد مفهوم المشترك الإنساني في فكر الامام، ومكونات هذا المشترك الانساني، وما مدى ضروريته للحضارة الانسانية، ومخاطر تجاوزه أو اختطافه أو تحييزه.

وقد اعتمدت الورقة الاستقراء منهجا في تتبع مفردات الموضوع محل البحث في مجمل كتابات الأستاذ عبد السلام ياسين رحمه الله، وما كتب عنه من أجل جمع مظان القضايا المطروحة في كتاباته وكتابات من كتب عن فكره. ثم المنهج التحليلي لتلك النصوص المستقرأة، لاستخراج ابعاد الموضوع في كتاباته. وتناولت الورقة الموضوع وفق الخطة الآتية:

1. مفهوم المشترك الإنساني
2. مكونات المشترك الإنساني.
3. ضرورة المشترك الانساني للحضارة الإنسانية.
4. مخاطر تجاوزه أو اختطافه أو تحييزه.
5. خاتمة بأهم النتائج والتوصيات.

أولاً- مفهوم المشترك الإنساني:

مفهوم المشترك الإنساني بشكل عام.

مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
ISSN: 2170-1822, EISSN: 2600-6189
مجلد: 13 عدد 01 جوان 2022
ص.ص 312 - 349.
العنوان: المشترك الإنساني وضرورته للحضارة في فكر الأستاذ عبد السلام ياسين

في بحثٍ عن التأثيل اللغوي للمشترك نجد له معاني كثيرة، غير أن ما له صلة ببحثنا من معانيه؛ ما يتخالط فيه الناس، وما يستوون فيه، وما هو قسمة متساوية بينهم (ابن منظور، 1414هـ: 148-149). ولكن ما يمكن قوله أن المعاجم اللغوية القديمة، لا تكاد تجد فيها المعنى المستعمل في وقتنا هذا. وهذا أمر طبيعي بحكم أن معاني المشترك في سياقه الفكري والفلسفي اليوم معاني مستحدثة. ولعل ما يسعفنا في تحديد معنى المشترك الإنساني هو المعاني الاستعمالية التي تناولها الباحثون المعاصرون.

وقد تناول الباحثون المشترك الإنساني وأعطوه تعاريف عديدة. حيث يرى الباحث أحمد آيت لمقدم أن المشترك الإنساني هو ﴿القيم الإنسانية الموجودة في جوهر كل الأديان والحضارات والمدارس الفكرية﴾ (لمقدم، 2014: 351). وتذهب ربيعة سحنون إلى أن البحث في المشتركات الإنسانية، يعني البحث في ﴿القيم المشتركة بين الناس، على اختلاف انتماءاتهم الحضارية والمذهبية والثقافية والدينية﴾ (سحنون، 2020: 96). وترى أن ذلك يشمل ما يلبي متطلبات الفطرة الإنسانية، كالتطلع للحرية والعدل والكرامة ورفض الظلم، والسعي لحفظ النفس، وغير ذلك، مما يعتبر من مبادئ حقوق الإنسان التي تشمل كل الأمم والحضارات والأديان والملل. وهو ما ذهب إليه محمد الدوقي (2020). مما يفهم منه أن المشترك الإنساني

هو قيم ومبادئ، تشمل الناس جميعا وترتبط بفطرة الانسان، بغض النظر عن انتماءات الناس الدينية والحضارية.

وذهب محماد رفيع أن المشترك الإنساني يعني ﴿القيم الإنسانية الموجودة في جوهر كل الأديان والحضارات والمدارس الفكرية، التي تلبّي حاجيات الإنسان الفطرية من حيث هو إنسان﴾ (رفيع، 2012م: 17). مما يفهم منه بمجموع ما ورد ذكره ان المشترك الإنساني هي مبادئ وقيم جوهرية تلبي الحاجات الفطرية للإنسان من حيث كونه إنساناً.

وهذا المشترك يتجاوز الخصوصيات، ومنطق الخصومة والصدام، ويؤدي إلى التلاقي واحترام مساحات التشابه بين الأمم والشعوب على مستوى الفكر والإبداع، للوقوف على أرض صلبة، ورؤى متجانسة يحكمها ذلك التقارب، وغالبا ما يظل المشترك ضامنا لاحترام الخصوصية والهوية الذاتية لكل أمة (Abbas, 2021: 23-24)، دون التضحية بثرواتها وتاريخها أو تراثها الإنساني.

وذهب الحارثي إلى أننا لكي نفهم المشترك الإنساني، ينبغي فهم (الإنساني) وكذلك (المشترك)، لفهم مصدر العلاقة وموضوعها ونوعيتها ووظيفتها، ثم بعد ذلك ما يتم الاشتراك فيه من جانب الوجود ومن جانب القيم والمبادئ، ومن جانب المصالح. ومنه يمكن

القول أن المشترك الإنساني هو الأفكار (التصورات، المبادئ، المفاهيم) التي يتفق عليها أغلب الناس أو كلهم، ويقولون بها بناء على الفطرة والعقل والاجتماع، وما يترتب على تلك الأفكار من واجبات وحقوق (الحارثي، 2020: 63).

من خلال ما ذكروه الباحثون الذين أوردناهم، نرى أن المشترك الإنسانية يتعلق بقيم ومبادئ عابرة للثقافات، تلبي الحاجات الأساس للإنسانية، ويجتمع في اعتبارها والاخذ بها الناس جميعا أو غالبيتهم على الأقل، بالرغم من الاختلافات الأخرى بينهم. ولعل هذا يقودنا إلى القول إن عالمنا اليوم في حاجة إلى خطاب جامع يراعي الوحدة في المشترك، والتنوع في المختلف، كما أشار إلى ذلك خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع حينما قال: (يا أَيّها النَّاسُ! ألا إنَّ ربَّكم واحدٌ وَإنَّ أَبَاكم واحدٌ، ألا لا فَضلَ لِعربيّ على عَجميّ وَلَا لِعَجميّ عَلَى عَرَبيّ، ولَا أحمر على أَسودَ وَلَا أَسودَ على أَحمرَ إلَّا بِالتَّقوى) (ابن حنبل، 2001: 38/ 174)، فهذا الخطاب يمثل إرهاصات حقيقية للمشترك، ومداخل رحبة للتعارف بين الشعوب والأمم والحضارات. إن البحث عن المشترك مدخل إلى السلام الإنساني ونشر لقيم الصفح والتسامح بدلا من الدموية والعنف، لا سيما في ظل ما يدعو إليه البعض من صدام الحضارات، وفي ظل

محاولات تفكيك قيم الفطرة الإنسانية وتجاوزها ومحوها، حتى ليكاد الإنسان ينكر نفسه.

مفهوم المشترك الإنساني في فكر الأستاذ عبد السلام ياسين.

وتأسيساً على ما سبق، فإنه يمكن القول أن من إسهامات الأستاذ عبد السلام ياسين رحمه الله اهتمامه بالإنسان وبالمشترك الإنساني، وبانفتاح خطابه على الانسان من حيث كونه إنسانا في مشارق الأرض ومغاربها، بغض النظر عن أصوله التاريخية والثقافية ودون التقيد بحدوده الجغرافية، وبغض النظر عن جنسه ذكرا أم أنثى بل في حركاته وسكناته يلامس هموم الإنسان عبر الزمان والمكان، إيماناً منه بأن كل ما في الكون يكتسب صلاحيته ومنطقه ووظيفته ومعناه من الإنسان، فهو المستخلف جامل الرسالة (المنبهي، 2020).

لقد كان الأستاذ ياسين على وعي بخطاب المشترك الإنساني في الفكر الغربي وفي الفكر الإسلامي، كما كان على وعي بالفروقات بين التصورين الإسلامي والغربي فيما يتعلق بهذا الموضوع. بل وتجده أحيانا ينتقد بعض الأفكار التي أنتجها المسلمون وتقلل من سعة المشترك الإنساني كما رسمها القرآن، ويضعها في سياقها التاريخي، ولا ينتقص منها. ويعطيها حقها من التقدير، لأنها تهدف إلى بناء جسور تواصل بين الناس على اختلاف ألوانهم وأعراقهم وأديانهم.

وبالرغم من هذا المشترك، فإن الأستاذ ياسين يرى أن التصور الإسلامي، يجعل من المشترك الإنساني مسؤولية وواجبا يجازى عنه من عند الله. بينما المشترك الإنساني في التصور الغربي مبني على أصول مادية مقطوعة الصلة بالوحي، مما يهدد بطغيان المصلحة المادية على هذا المشترك (ياسين، 1979: 41).

وانسجاما مع مشروعه الدعوي الإصلاحي، فإن الأستاذ ياسين خصص حيزا خاصا للحديث عن المشترك الإنساني وإبراز موقفه منه، من باب المسؤولية الدعوية، وحق الفرد والمجموع الإنساني كله في معرفة خالقه، واتباع وحيه، وإدراك حقيقة الوجود، ومآل الانسان في الآخرة، وان الله خلق الانسان لغاية سامية وليس لمجرد الاكل والشرب والتمتع، ومن باب مسؤولية تحرير الإنسانية كلها من الظلم والاستعباد، وحقها في العيش الكريم، ونصرة للمستضعفين في الأرض، والتعامل بالبر والقسط مع الناس أجمعين. فمن كمال الايمان ومن واجبات الدعوة الاهتمام بما يهم البشرية في عاجلها وآجلها (ياسين، 2000: 296).

ثانياً- مكونات المشترك الإنساني:

وفي وضع الحضارة الإنسانية اليوم، لا بد من المنطقة المشتركة على المستوى الإنساني، القادرة على الجمع بين الفرقاء مهما اتسعت

بينهم شقة الخلاف. وإن البحث عن المشترك يتجاوز منطق الخصومة والصدام، ويؤدي إلى التلاقي واحترام مساحات التشابه بين الأمم والشعوب على مستوى الفكر والإبداع للوقوف على أرض صلبة ورؤى متجانسة يحكمها ذلك التقارب، وغالبا ما يظل المشترك ضامنا لاحترام الخصوصية والهوية الذاتية لكل أمة دون التضحية بثرواتها وتاريخها أو تراثها الإنساني (آل بكر، 2018: 2-3).

واليوم يحتاج العالم إلى البحث في مؤسسات المشترك الإنساني وتنميتها وتعزيزها والحفاظ عليها، بما يحقق الوحدة والتنوع معا، ولعل مما يمكن التأكيد عليها من مكونات للمشترك الإنساني؛ وحدة الأصل، ووحدة المصير، والفطرة، والخبرة الحضارية المشتركة.

وحدة الأصل:

إن الإنسانية التي ترجع إلى أصل واحد، وتعيش على ارض واحدة، مستخلفة فيها، وتتقاسم هواءها وخيراتها، وترتبط بمصالح وحاجيات، وتتوجه نحو مستقبل واحد، وتتطلع إلى تحقيق مقاصد الإنسانية والعيش المشترك، في ظل تواصل بناء وتعاطف وتآخي، وتخرج من أوضاعها الحالية التي يسودها الصراع والتنافر، فإنها مطالبة – بكل مكوناتها- أن تستوعب المشترك بين الشعوب والأمم، وتعمل

على تنميته والحفاظ عليه، وتدبير الاختلاف فيما بينها (الفراك، 2016).

فوحدة الأصل هذه لا تنفي أن ﴿الناس شعوب وقبائل وفئات يريد الله لها أن تتعارف، فإذا تعارفت أنكرت المنكر، ونصبت ميزان التقوى وميزان الايمان، وهو نفسه ميزان العدل في القسمة﴾ (ياسين، 2009: 16)، ولذلك كان خطاب القرآن عالميا، للناس كافة، باختلاف شعوبهم وقبائلهم (ياسين، 2009: 261).

كما أن تكريم الإنسان في أصله الإنساني مبدأ ثابت في الإسلام، لهذا يرى الأستاذ ياسين ﴿أن تكرمة الإنسان، وإنصافه، وكشفَ الظلم عنه، وتحريرَه من العبودية للعباد ديننا وعقيدتُنا. لنا في الموضوع أصالَةُ شَرْعِنَا، لا ننقل نقل البليد من ألواح غيرنا ولا نتنازل عما رسمته شريعتنا. كلمة الله عز وجل تقول: ﴿ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضّلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ [الإسراء: 70]، وشرحنا العملي لهذا المبدأ القرآني ينبغي أن يكون إعلاء لمطمح الإنسانية بالإنجازات العملية لا بالمشاحنات الكلامية﴾ (ياسين، 2000: 356).

ولا يخفى استناد الأستاذ ياسين على الوحي في فكرة وحدة الأصل مكونا من مكونات المشترك الإنساني. فإذا تأملنا القرآن الكريم

مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
ISSN: 2170-1822, EISSN: 2600-6189
مجلد: 13 عدد 01 جوان 2022
ص.ص 312 - 349.
العنوان: المشترك الإنساني وضرورته للحضارة في فكر الأستاذ عبد السلام ياسين

وجدنا وحدة الأصل الإنساني والاشتراك في الخلق والوجود، يشكل مقوما مهما يؤسس للمشترك الإنساني، وقد ذكر القرآن في آيات عديدة هذه الوحدة، التي تبين بوضوح أهميتها للإنسانية وتشهد أن الأصل الإنساني واحد. منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13]، و﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1]، ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: 98]، وغيرها من الآيات الكريمات التي ذكرت وحدة الأصل في سياقات متعددة لتؤكد أهمية وحدة الأصل في التأسيس للمشترك الانسان، حيث أن كل الناس يرجعون إلى أصل واحد.

وفي السنة أيضا، تأسيس لهذا الأمر، فقد جاء في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم قوله في حجة الوداع: (يا أيّها النَّاسُ ألا إنَّ ربَّكم واحدٌ وَإنَّ أَبَاكم واحدٌ، ألا لا فَضلَ لِعربيّ على عَجميّ وَلَا لِعَجميّ عَلَى عَرَبِيّ، ولَا أحمر على أسودَ وَلَا أسودَ على أحمرَ إلَّا بِالتَّقوى) (ابن حنبل، 2001: 38/ 174).

فهذا المكون الأول الذي هو وحدة الأصل يمثل ركيزة حقيقية للمشترك ومدخلا رحبا للتعارف بين الشعوب والأمم والحضارات، كما أنه مدخل إلى السلام الإنساني ونشر لقيم الصفح والتسامح بدلا من الدموية والعنف، لا سيما في ظل ما يدعو إليه البعض من صدام الحضارات (آل بكر، 2018: 2). ووحدة الأصل الإنساني هذه مكون طبيعي يشترك فيه الناس، ولا يتفاضلون فيه. ويدخل فيه الانتساب للقوم والوطن، باعتباره انتسابا طبيعيا لا يزاحم الانتساب للأصل الإنساني ولا يتناقض معه، ﴿ما لم يكن التعصب والحمية الجاهلية. والإسلام لا يخاصم بأي وجه ما هو من أصل الخلقة وما هو من مقومات وجود البشر، بل يوجه عاطفة الانتساب للأسرة والقوم، ويقويها، لتصلح قاعدة للانطلاق للخير﴾ (ياسين، 1995: 135). ويذكرنا الأستاذ بخطاب القرآن الكريم المتعلق بوحدة الأصل كما في الآية من سورة الحجرات (الحجرات: 13) التي ذكرناها سابقا، بغض النظر عن معتقد هذا الانسان (ياسين، 1995: 137).

فالآية الكريمة كما يرى الأستاذ ياسين- تبدأ بأصل خلق الانسان؛ ذكرا وأنثى، ومنهما تتشكل الأسرة، حيث المحضن التربوي والعاطفي الأول، ثم القبيلة والشعب والقوم حيث الحضن الأوسع. هذه كلها دوائر انتماء طبيعي ومحاضن أصلية للإنسان، يشتركون فيها، ولكن بفعل ما يقع عليها من انتكاس وتحجير، يبدأ التناكر بدل

التعارف، والشحناء بدل التواصل، والحرب بدل السلم. وذلك لما ينسى الناس وحدة الأصل وينكرونها، ويتعصبون لأصولهم الفرعية، ويتفاخرون بها، فيفقدون التفاضل الحقيقة وميزانه في الأكرمية، على أساس التقوى وليس العصبية (ياسين، 1995: 137).

الفطرة:

الفطرة عنصر جوهري يبنى عليه المشترك الإنساني، فالله سبحانه وتعالى خلق الانسان وجعل له ميول وانتماءات وأصول، وجعل له معايير بها يدرك ويتواصل، أو كما يقول الأستاذ ياسين عند حديثه عن فطرية الانتماء القومي، لأن الله أنشأ الإنسان ﴿ في حضن قوم رعوا نشأته .فمن الفطرة التي يتخذها الإسلام أساسا عليه يكمل البناء العاطفي الفكري السلوكي للمسلم: أسباب الصلة بين الإنسان وقومه .حيث يأمر دين الله القويم بحسن صحبة الوالدين وذوي القربى ولا ينكر إلا الحمية الجاهلية وهي العصبية القومية﴾ (ياسين، 1995: 5). فمراعاة ذلك مما يجعلنا نفهم المعادلة الاجتماعية للشعوب والقبائل والأمم، ونميز المشترك بينها من الخاص بقوم بعينهم.

فهذه الفطرة مغروزة في النفوس، وهي من سنة الله في الخلق، وهي مما يجعل الانسان إنساناً (ياسين، 2005: 7). وهي تعني استواء الخلقة كما جاء في القرآن الكريم. كما تعني قبول ألوهيته سبحانه

مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
ISSN: 2170-1822, EISSN: 2600-6189
مجلد: 13 عدد 01 جوان 2022
ص.ص 312 - 349.
العنوان: المشترك الإنساني وضرورته للحضارة في فكر الأستاذ عبد السلام ياسين

والخضوع له، وهذا جوهر معنى الدين. لكن هذه الفطرة قد تتعرض للانحراف والفساد بسبب التنشئة والتربية (ياسين، 2009: 112). ويرى الأستاذ ياسين ان المعنى القرآني للفطرة هو استواء الخلقة الباطنية للإنسان، المجبولةِ على الإيمان بالله ومعرفته. ﴿فمعنى سلامةِ الفطرة سلامةُ هذه الخلقة الباطنية، المعبَّرِ عنها بالقلب، واستعدادُها لتلقي الإيمان بالله عز وجل وبغيبه، وكفاءتُها لمعرفته سبحانه وتعالى على ما يتجلى لها ويعلمها﴾ (ياسين، 2009: 112؛ ياسين، 2000: 301).

فالفطرة حسب الأستاذ ياسين استعداد طوعي طبيعي لقبول الحق، ﴿ولو خلّته شياطين الإنس والجن وما يختار لم يختر إلا إياها ... لولا الناسُ وتعرضهم لها لبقيت كما وُلدت سليمة﴾ (ياسين، 2000: 301).

ولذلك فمن أقام وجهه لله ووقف بين يديه ووعى نفسه مفطورا مراقبا من لدن فاطره فهو إنسان الفطرة، ومن انسلخ عن الفطرة يصير إنسانا منسلخا. والموقف الفطري هو موقف المؤمن المؤتمر بشرع فاطره، والنظرة الفطرية هي تصور الإنسان والعالم خلقا أمام الله الذي بيده مقاليد كل شيء (ياسين، الإسلام غدا، د.ت: 63-64).

ولذلك فالفطرة أمر مشترك بين الناس، في أصلهم، ولكن سيرورة الحضارة، وهيمنة منطق الاستهلاك، والتيه عن الهداية، والتنكب عن طريق الخالق، وتحريفات شياطين الانس والجن، يؤدي بالإنسان إلى الانسلاخ عنها.

وحدة المصير

يرى الأستاذ ياسين ان الإنسانية لها مصير مشترك في مستوى النوع، وفي مستوى الافراد؛ فمصير النوع في الدنيا، امام المصير الفردي فيوم لقاء الله في الآخرة. ولهذا فإن الأرض التي هي مكان استخلاف النوع الإنساني يشترك في العيش فيها الجميع، فلا فضل لأحد على آخر ولا لثقافة على ثقافة، ولا لحضارة على أخرى، إلا بقدر ما قدمته من منجزات تخدم الإنسانية وتحقق الحياة الطيبة لها في الدنيا والآخرة. ومن هنا تأتي فكرة كيف نتعايش ونتقاسم الصعوبات كما نتقاسم المنجزات، ونتكامل ونتعارف، ونتعاهد على عدم إلحاق الضرر ببعضنا البعض، لنحفظ حياتنا المشتركة ونضع السبل التي نعمر بها الأرض (الفراك، 2016).

وفي هذا السياق فإن الأستاذ ياسين يطرح فكرة التعاون والتحالف مع المستضعفين في الأرض ضد القوى المستكبرة التي أفسد الحضارة الإنسانية وأفسدت إنسانية الانسان وأدخلت الناس في صرعا

واحتراب وأدخلت في اختزال لمقومات وجودهم. وبما أن أبناء الأمة المسلمة ﴿مستأمنون﴾ على رسالة الأنبياء وعلى الإنسانية وعلى الأرض، فنحن ﴿مدعوون غدا لنتحالف مع مستضعفي الأرض ضد الاستكبار العالمي﴾ (ياسين، 2009: 263).

يستند الأستاذ ياسين في هذا الموقف على حضور النبي عليه الصلاة وصلام ﴿حلف الفضول﴾ وإشادته به. فقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم قوله: ﴿لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أنّ لي به حمر النعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت﴾ (ابن هشام، 1955: 1/ 134؛ الغضبان، 1419هـ: 72) ، ويستنتج الأستاذ ياسين من هذا الحديث أن الإسلام جاء بإقامة الحق ونُصرة المظلومين (ياسين، 2009: 263).

وهذا ما يجعل المسلم على استعداد دائم، وعزم، وثقة في رحمة الله عز وجل، لتعاون مع أصحاب الإرادات الخيّرة والمبل والطيبة، للتعاهد على عدم الاعتداء على الانسان وعلى كرامته، يكون ميثاقا للرفق بالإنسان وتوفير الأمان له، حتى نجتث الإقصاء والعنصرية وامتهان الخلق والعنف التي يواجهها الانسان (ياسين، 2000: 22).

ولعل الفكرة ذاتها عبر عنها مالك بن نبي من وجهة نظر تاريخية حضارية، إذ يرى ان هذا العصر الذي نحن فيه تتجسد فيه وحدة

المشكلات الإنسانية مما يؤكد المصير المشترك للإنسانية (بن نبي، 1981: 206). بل يؤكد بن نبي أن القرن العشرين أكد وحدة التاريخ الإنساني، بحيث لم تعد امة أو شعب أو جماعة تنفرد بمصيرها بمعزل عن بقية الكيانات في العالم (بن نبي، 1981: 206).

إن هذا التوجه العالمي الذي وصل إليه التاريخ، وارتفعت إليه البشرية مع التطور التكنولوجي، أدى إلى اتساع دائرة الوعي، بحيث تتدرج الإنسانية نحو الوحدة، والمصير المشترك (بن نبي، 1981: 75؛ بن نبي، 1986: 48).

الخبرة الحضارية

إن العصر الذي نعيشه يتجه إلى تحقيق وحدة الإنسانية والحضارة بفعل عوامل مهمة ينبغي الانتباه له. ولعل أهم عاملين يمكننا ذكرهما في هذا السياق؛ عامل التقدم العلمي المتسارع، وعامل انتشار الوعي بين شعوب العالم.

فتقدم العلم المتسارع، واتساع تطبيقاته، جعل المسافات تقترب، كما أحدث روابط مادية ومعنوية بين الشعوب والأمم والحضارات. ولعل سبب ذلك ان هذا العلم ميراث إنساني مشترك في كثير منه، فهو يقوم على ﴿اطلاع العقل المعاشي المشترك بين البشر﴾ (ياسين، 2018: 221، 252). مما جعل كثيرا من منجزات الحضارة ذات

صبغة عالمية، ولو في جانبها التقني على الأقل. وهذا العامل التقني أدى إلى انتشار منتجاتها ووسائلها، وتوسع آثارها على الإنسانية، لتشمل طرق العيش وانماط التنظيم والإدارة، والاذواق. وهذا هو العمل الموحد للحضارة والإنسانية.

أما انتشار الوعي بين شعوب العالم وتجاوزها للحدود التقليدية بفعل التطور التقني (ياسين، 2018: 53؛ ياسين، 1998: 2/ 82)، وبالرغم من العوائق التي أصابت الضمير الغربي من تمركز على الذات، واستعلاء على الشعوب، واستغلال لها، وتحكم فيها، فإن هذا التوسع التقني والثورة المعلوماتية قد سرّع من نضج وعي الإنسانية، وجعل الشعوب تعي كثيرا من سبل التقارب، وأهمية المصير المشترك، وأدى بالخبرة الحضارية للإنسانية أن تقود –بمنطق التاريخ– الشعوب إلى التقارب، والوعي بوحدة المصير، والانتباه إلى المخاطر والتحديات التي نواجهها جميعا.

وهذان العاملان، مما يؤكد على أهمية الخبرة الحضارية للإنسانية، في كونها من المكونات الأساس للمشترك الإنساني، لأنها مما هو ﴿مشترك عام على الخلق أجمعين، آلة اكتسابها العقل والتجربة والاستفادة من جهود الأجيال البشرية واكتشافاتها﴾ (ياسين، 2005: 268). وهي ميدان فسيح منفتح يجعل الشعوب تنفتح على بعضها البعض وتسعى إلى اكتساب الخبرة والتجارب والاستفادة من ﴿حكمة

الشعوب﴾ (ياسين، 2000: 334). فالخبرة الحضارية توصلنا إلى الاهتمام بالغنى الإنساني الذي حملته ثقافات متعددة، تثري التجربة الكونية للإنسانية (غارودي، 1999: 11). وبخاصة في مرحلتنا الحضارية والتاريخية التي نعيشها اليوم، حيث لم يعد بمقدور أحد أن ينعزل وينفرد بمصيره، بفعل التطور التكنولوجي الذي فتح الحدود بين الشعوب والأمم، والذي قضى على مفهوم الوحدات الحضارية المعزولة التي عرفها تاريخ البشرية.

ثالثاً- مدى ضرورة المشترك الإنساني للحضارة الإنسانية؟

إن غياب هذا المشترك الذي هو ضروري لاستدامة العمران واستقامة الإنسان يؤدي إلى مخاطر جمة، لعل من أهمها اختلال معايير الحقيقة. فإن لم يكن هنالك بيننا مشترك إنساني، فإنه يصعب التواصل والتعارف، بل يكثر الصراع والتحارب. كما أن الحقيقة تصير حقائق وليس حقيقة واحدة، وهذا يؤدي إلى النسبية المطلقة، مما يعود على الإنسانية بالتفكك، والقطيعة.

فالمشترك الانساني ضروري للحضارة الإنسانية، لاستبعاد النسبية المطلقة، ولاستبعاد السيولة في القيم والمفاهيم والمعايير، ولاستحضار الكليات والحق المطلق، ولاستحضار التواصل

والتعارف، باعتبارها أعمدة لاستدامة الحضارة الإنسانية وتحقيق مقاصدها التي من أجلها استخلف الانسان في هذه الأرض.

المشترك يحفظ الإنسانية من النسبية المطلقة واختلال معايير الحقيقة.

لقد جلبت علينا موجات ما بعد الحداثة نسبية مطلقة في التصورات والقيم والنظم والعلاقات والمؤسسات، مما يهدد بتفكيك كل شيء قامت عليه الحضارة الإنسانية. فتبني النسبية ينذر في المعارف والمعتقدات بشكل مطلق، يؤدي إلى أن ﴿نغرق في لجة العدمية﴾ (ياسين، 2000: 257).

وينتقد الأستاذ ياسين ﴿اعتناق المرجعية النسبية التي تضع المطلق في خانة المخلَّفات الأركيولوجية﴾ (ياسين، 2018: 203)، وترى في الثابت في الأصل والفطرة وفي الدين أمرا متغيرا، نسبيا، يمكن تجاوزه أو تأويله على غير منهج ثابت. وفي هذا السياق يورد الأستاذ ياسين عند نقده للتصورات الأسطورية للديمقراطية، شهادة بيير مانون عن النسبية الحديثة، كيف حطمت الدين، وتقوم بتحطيم السياسة، وتدميرها، وفك ارتباطها بالقيم، مما أدى إلى فقدان الحقيقة في

المجتمعات التي تجعي الليبرالية والديمقراطية (ياسين، 2000: 329-330).

ومن التيارات التي تسببت في ضرر كبير على المشترك الإنساني، تيارات الارتياب والشك الأخلاقي، والإلحاد، والعقلانية الملحدة، والداروينية، وغيره، التي تسببت في التشكيك في القيم العليا والمبادئ التي تجمع بين بني البشر بحجة تحقيق المشترك، وحاولت استبعاد القيم المتعالية التي مصدرها الفطرة (ياسين، 2000: 155-156؛ 163). و«ما تزال ريح العدمية والإلحاد التي هبَّت في القرن الماضي تعصف في نهاية القرن العشرين» (ياسين، 2000: 163).

وهذه التيارات التي أخلت بمبدأ الفطرة، وانتهكت الأصل الإنساني؛ إما بإنكار أصل الخلقة باعتبار الانسان متطورا عن كائنات أخرى ويندرج في سلك تطور مستمر، أو بإنكار الفطرة أصلاً، وبسيادة نظريات الصراع والتفوق العرقي، أدت إلى ما أسماه الأستاذ ياسين «الدوابية» (ياسين، 2000: 163) التي شجعت على الشذوذ الفكري والأخلاقي، وأخلت بنظام القيم، وشككت في المبادئ الكلية.

المشترك الإنساني يؤسس للتواصل ويسد ذرائع القطيعة.

إن التأكيد على المشترك الإنساني لا يعني بالضرورة القبول بالذوبان في الثقافة المعولمة المهيمنة، ولا يعني تكريس عقدة النقص

والدونية والانهزامية أمامها، ولا يعني فك الارتباط بمركزية الإسلام في حياتنا أو تمييع الحقيقة الدينية، فالغاية الكبرى من بناء المشترك الإنساني هي التواصل مع الآخر بدل القطيعة، والاعتراف بالآخر المختلف بدل إنكار وجوده، والبحث معه في عناصر الاتحاد والاتفاق والتفاهم بدل الصدام والصراع المهلك للبشرية. وهذا كما يقول الأستاذ ياسين يقودنا إلى التركيز على ﴿الطبيعة الكونية والطبيعة الإنسانية﴾ (ياسين، 1989: 16). لكنها ﴿عقبة يجب على الإنسان أن يقتحمها﴾(ياسين، 1989: 16)، ومواجهة ما يفكك الإنسانية ويقسمها، لننتقل من كل أصناف التقسيمات والطبقيات والتنازعات، إلى ﴿إمكانية الاخوة الإنسانية﴾(ياسين، 1989: 16).

وبخاصة في زمننا المتميز بالتسارع في الأحداث وسرعة وتوسع وسائل الاتصال، ﴿مُناخ عالمي تقطع معه الاتصالَ فتموتُ حالاً﴾ (ياسين، 2018: 92)، لكن هذا التسارع يتميز بالسيولة واللحظية لكثرة المستجدات في المعرفة والاجتماع الإنساني (ياسين، 2018: 92)، حتى صار كأنه ﴿مُناخٌ عامٌّ جارفٌ لا يقِفُ لك لحظةً حتى تُسَوِّي على مَهَلٍ تربيَةً تَرْفُو الأطراف المجدوعة، وتَأْسُو الجراحات في الدين، وتعيد إلى جسم الدين قابليَّة الحياة، وإرادةَ الحياة، وإلى قلب الدين نَبْض الحياة﴾ (ياسين، 2018: 92).

وإن هذا يقتضي تأكيد أهمية التعارف والمشتركات الانسانية وإشاعة الاهتمام بها، بما يكفل نزع فتائل التوتر بين الشعوب والأمم والدول، ويقلل من التنازع والحروب، ويقوي الحوار بين الأمم والثقافات والحضارات، وتأكيد التنوع في تجارب عمارة الأرض. وهذا لا يتم إلا بالقضاء على عوامل التوترات والإكراه والصراع بين الحضارات (صدقي، 2018).

رابعاً- أخطار تجاوز المشترك الانساني أو اختطافه أو تحييزه.

هناك مخاطر كثيرة تحيط بالحضارة الإنسانية جراء تجاوز المشترك الإنساني، أو اختطافه لحساب جهة معينة، أو تحييزه بحيث يفقد موضوعيته. ولعل من بين أهم هذه المخاطر؛ فقدان إنسانية الانسان، والتنازع واختلال بنيان.

غياب المشترك الإنساني يؤدي إلى فقدان إنسانية الانسان:

وفقدان الانسان إنسانيته يكون بالفساد الذي يلحق الفطرة أو يؤدي إلى محوها، والخروج عنها، كما يؤدي إلى إخفاق الضمير الإنساني الذي يقع تحت طائلة هوسه بالتقدم المادي والتفوق التكنولوجي لكنه يفقد معاييره المتعالية، ويتخلف حتى عن مواكبة العلم والتكنولوجيا والتقدم الحضاري، ويصير أسيرا بدل أن يكون منبعا للقيم ولحماية إنسانية الانسان.

ولهذا كانت قضية التشوه والفساد الذي يلحق الفطرة هدفا أساسيا من اهداف حوار الحداثة عند الأستاذ ياسين. ولهذا أيضا، فإن الأستاذ ياسين يرى أن المشترك الإنساني كفيل بان يحفظ للإنسان إنسانيته، ولا تنفرد الأيديولوجيات المختلفة بصنع مصيره. فمثلا مسالة حقوق الانسان؛ فهي قضية لرفع الظلم عن الانسان، وتراد لإنصافه في المعاملة، وتراد للعدل في القسمة وحد الاستغلال، وتراد لرفع إرهاب الحكام عنه والقمع والتعذيب، وتراد لإفشاء الرخاء، والأمن، وحرية الاعتقاد، والتحرك، والتنقل (ياسين، 2009: 98). ولكن على ألا تنفرد الأيديولوجيات الرأسمالية والشيوعية لتختزله في بعد استهلاكي غرائزي مادي أرضي مفصول عن بقية ابعاد شخصيته، ومفصول عن بعد المساء الذي يميزه. ﴿فشرف الانسان وكرامته وحريته تأتي من كونه مخلوقا سماويا بروحه، يثقله الجسم بحاجاته، وظروفه الحيوية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، عن الصعود من سجنه الأرضي إلى سعادة الأبد﴾ (ياسين، 2009: 98-99).

كما أن الفطرة والحفاظ عليها صمام أمان من وقوع الفساد على الانسان، ولذلك فإن ما نراه اليوم من محور للفطرة والخروج عليها وتجاوزها بدعاوى العقل والعقلانية وبدعاوى الحرية وحقوق الانسان، فغنها عادة على أصل الانسان بالفساد، وجعلته يعيش خواء القلب والروح، وجعلت العقل ذاته يخرج عن المعقول ويتحكم فيه الهوى.

ولهذا يؤكد الأستاذ ياسين أن النبوة والوحي هي ما يحفظ فطرة الانسان بالحفاظ على التراتبية الطبيعية للقلب والعقل والهوى.

يقول الأستاذ ياسين في سياق تحديده لمركزية القلب والايمان في الحفاظ على الفطرة: ﴿الترتيب الفطري للإنسان يرفع القلب إلى مقام الإمارة، ويجعل العقل وزيرا له، والحواس خدمه. فإذا فسدت الفطرة تأمّر العقل، وتمرد على القلب ومعانيه، وهذا فساد العقل الفلسفي العبثي. فإن فسدت الفطرة الفساد التالي للفساد الأول، الملازم له، الناتج عنه، تأمّر الهوى بشهواته، وسخّر العقل لأغراضه، وطرد معاني القلب﴾ (ياسين، 2009: 129). وهذا ما نراه من إخفاق للضمير في مقابلة تطور العلم والتكنولوجيا اليوم، حيث أنه باسم العلم يتم محو القيم الناظمة للإنسانية، حتى أضحت البشرية هيجنا فاقدا للمعنى، مندرجا في عبثية تمحو الفطرة وتترك الانسان هباء (بن لحسن، 2021).

بل إن الحداثة السائلة التي شوهت فطرة الانسان، وسعت إلى قولبته كائنا ماديا طبيعيا ليس له أي تطلع للسماء والخلود، لم تفلح في اجتثاث الفطرة الإنسانية، وإن عطلتها وشوهتها وأدخلتها في متاهات، وهذا ما جعل كثيرا من الناس يبحثون عن المقدس وعما يشبع فطرتهم في استحداث ايديولوجيات روحية غريبة، وفي سعي مضطرب للبحث عن الجوهر الكامن في الانسان. وهذ ما عبر عنه الأستاذ ياسين

حينما نبه إلى ان الفطرة إذا حوصرت فإنها تخرج في صيغ أخرى، ذلك (ياسين، 2000: 153).

ولذلك تاه الانسان الحديث، وبقي حائرا لأنه تجاوز ركيزة أساسية من ركائز وجوده المشترك؛ وهو الاعتراف والرجوع إلى الفطرة؛ ﴿مشدوه هو الإنسان الحداثي أمام مبدعاته، زمنه مشغول مستعمر، متخم هو بالمعلومات التي تطلعه على كل شيء فيما عدا نفسه التي يجهلها، تمده العلوم الطبية والإحيائية والوراثية بما يمكنه من التعرف بعمق على كيفية اشتغال آلياته الجسدية، لكن لا خبر لديه عن اتجاه رحلته في الحياة﴾ (ياسين، 2000: 156).

إن ما ذكره الأستاذ ياسين عن الحداثة وما تسببت فيه من فقدان لإنسانية الانسان، ذكره بن نبي، مؤكدا بأن العبقرية الغربية التي أبدعت الآلات لم تستطيع السيطرة عليها، حيث قادتها بعقل آلي فصارت الحياة أرقامًا، بل إن أوروبا النازعة إلى الكم وإلى النسبية، قد قتلت عددًا كبيرًا من المفاهيم الأخلاقية، (الخطيب، 1993: 199–200).

وهذا الشغف بالتقنية، والتركيز على عالم الأشياء، والتوجه نحو الدنيوية، جعل العالم الغربي أرضا خصبة لتنبت فيها نبتة العلمانية؛ التي هي في جوهرها ليست فصلا للدين عن الدولة والحكم فقط، بل هي في جوهرها انفصال العلم عن الضمير. وبلغ الأمر غايته مع

المكتشفات العلمية والتقنية والصناعية، خلال القرون الأخيرة، حتى ظن العلم انه الذي يستطيع الإجابة عن كل الأسئلة وتحمل كل مسؤوليات الانسان في العالم (بن نبي، 1978: 63-64). فهذا التشطير للإنسانية بين المادي والمعنوي وفك الارتباط بينهما هو ما جعل الانسان يفقد كليته وإنسانيته ويعيش الفصام.

غياب المشترك الإنساني يؤدي إلى التنازع واختلال بنيان العالم.

وغياب المشترك الإنساني يؤدي إلى التنازع واختلال بنيان العالم كما يقول ابن خلدون، وذلك من خلال استفحال الصراعات والحروب، والفساد الكوني، وزيادة اختلال التوازن بين الفقراء والأغنياء.

فالعالم يسير بخطى حثيثة نحو عدة كوارث عالمية، كل واحدة منها كفيلة بتدمير العالم ولإناء الانسان. فهناك حالة من التوتر والاحتقان والقلق والغضب أصابت الناس شيعاً وأحزاباً يضرب بعضهم رقاب بعض. وصار العالم يواجه ازمة خطيرة في العقود الأخيرة، وهذه الأزمة تتمثل في الأساس في تنامي شعور الكراهية بين الشعوب بشكل مخيف، وترسخت عن كثير من الناس حالة من فقدان الثقة، والشك في الآخرين. وبالرغم من توسع التواصل والاتصال

ووسائلهما، فإن هذه الوسائل صارت تصدر الكراهية والحقد والحسد والشحناء والبغضاء بشكل أوسع وأسرع (السرجاني، 2011: 6).

وغياب المشترك الإنساني المتفق عليه الذي أشرنا إليه في العناصر السابقة سيكون خطيرا على مصير الانسان والحضارة، وذلك من خلال اختلال التوازن بين الأغنياء والفقراء، وبين الشمال والجنوب، وبين الغرب والشرق. ذلك أن ﴿مشروع حلف إنساني عالمي يبقى حلما وهذيانا في حال عدم التوازن الفاضح الحالي بين الشمال والجنوب. ويظهر ان القضية المقدسة لحرية الانسان والحفظ الجميل والنبيل لكرامة الانسان ستبقى امراً غريبا﴾ (ياسين، 2000: 23).

بل إن جنوح الغرب إلى زعزعة القيم المشتركة التي لطالما استندت عليها البشرية، يتجاوز الجوانب الإيجابية التي جاء به مشروع الحداثة الغربي، وصارت الحضارة الغربية تكاد تحاصر التراث الإنساني المشترك، وتدمر البيئة، وتقضي على التنوع الحيوي (ياسين، 2000: 299)، وذلك من خلال منتجات الحضارة المعاصرة التي تهدد بفساد الكون حيث صارت ﴿تُسَخِّن الغازات الملوثة الكرة الأرضية، وتهدد البلدان المنخفضَة الفيضاناتُ ... والمجاعة المزمنة. خُرقت طبقة الأوزون ففقدت البشرية غطاءها الواقي، لِتَبْرُزَ ظواهر مناخية مدمرة﴾ (ياسين، 2000: 299).

أضف إلى ذلك أن العالم، ولغياب معايير مشتركة تحكم الحضارة الإنسانية، وتحكم تعامل الدول والشعوب فيما بينها، قد دخلت في جاهلية معاصرة مدمرة أشد من التدمير الذي ألحقته الجاهلية الأولى بالإنسان والإنسانية. فقد أدت الجاهلية المعاصرة بما هي مسكونة بالعنف والجهل؛ جهل الإنسان عِلّةَ وجوده وغاية وجوده،وعدم احتكام إلى العدل، وانحطاط بالمرأة، وتحكيم للدوافع الغريزية الهائجة بدل الاحتكام إلى العدل لحل الخلافات (ياسين، 2000: 228).

خامساً- خاتمة.

إن ما يمكن أن نختم به هذه الورقة المختصرة في موضوع المشترك الإنساني في فكر الأستاذ ياسين، أن هذا موضوع بالغ الأهمية، من حيث المبدأ ومن حيث التاريخ؛ فمن حيث المبدأ فالمسلم كما بين الأستاذ ياسين يحرص على المشترك الإنساني من باب إيمانه الإسلامي بوحدة الأصل الإنساني وأن البشرية كلها ترجع لآدم، فهم متساوون في أصل الخلقة والكرامة الإنسانية، كما أن الفطرة التي خلق الله الناس عليها مكون أساس يشترك فيه الناس جميعا، أما من حيث التاريخ فإن الخبرة الحضارية التي وصلت إليها البشرية تجعل الناس يعيشون المشترك ويلمسونه في يومياتهم، وهذا مما يدفع إلى التفكير في وحدة مصيرهم أمام تطلعات الإنسانية وأمام مخاطر تهدد الإنسانية اليوم في وجودها وفي قيمها وفي إنسانيتها.

وهذا ما يجعل المسلم مطالبا بأن يتفاعل مع هذا المشترك الإنساني تفاعلا فاعلاً وليس تلفيقيا، فيسعى للتواصل مع الحضارة الإنسانية ليوصل لها الخير الكامن في الإسلام، وليساعد الإنسانية في تجاوز التفكك الذي تتعرض له، والتشظي الذي تعاني منه، في مستوى التصورات والقيم والمعرفة والاجتماع.

وإنها لرسالة شريفة لا يحققها المسلم إلا بمعرفة الإسلام وما يحمله من خير للإنسانية كافة، ومعرفة لجهود العلماء الأعلام والدعاة الأحرار من أمتنا ومن الإنسانية أيضا، الذين سعوا إلى حلف فضول جديد يقي الإنسانية من أن تحتنكها شياطين الإنس والجن بالفساد والإفساد.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

المراجع:

ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد. (2001). **مسند أحمد**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين. (1414هـ). **لسان العرب**، ط3، بيروت: دار صادر.

ابن هشام، عبد الملك. (1955). **السيرة النبوية**، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ط2، القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

آل بكر، حسين عبد الهادي. (2018) ﴿لِتَعَارَفُوا: خطوة نحو المشترك الإنساني﴾، **مقاربات**، المجلس الإسلامي السوري، عدد3، ص2-3.

الحارثي، وائل (2020). ﴿التأسيس المقاصدي للمشترك الإنساني﴾، دورية **نماء لعلوم الوحي والدراسات الإسلامية**، عدد 11، خريف، ص 58-85.

الخطيب، سليمان. (1993). **فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي**، ط1، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.

الدوقي، محمد. (2020). ﴿**المشترك الإنساني عند الأستاذ عبد السلام ياسين**﴾، 28/ 1. تم الاسترجاع بتاريخ 22/ 10/ 2021، http://bit.do/fTGUq

السرجاني، راغب. (2011). **المشترك الانساني: نظرية جديدة للتقارب بين الشعوب**، القاهرة: مؤسسة إقرأ.

الغضبان، محمد منير. (1419هـ). **فقه السيرة النبوية**، مكة المكرمة: جامعة أم القرى.

الفراك، أحمد. (2016). ﴿**مدرسة الإمام المجدد عبد السلام ياسين**﴾، تم الاسترجاع بتاريخ 22/ 8/ 2021، http://bit.do/fTGUr

بن لحسن، بدران. (2021). ﴿العلم والضمير﴾، **جريدة البصائر**. تم الاسترجاع بتاريخ 12/ 9/ 2021، http://bit.do/fTGUs

بن نبي، مالك. (1978). **بين الرشاد والتيه**، دمشق: دار الفكر.

بن نبي، مالك. (1981). **فكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونج**، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دمشق: دار الفكر.

بن نبين مالك. (1986). **وجهة العالم الإسلامي**، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دمشق: دار الفكر.

بوعود، أحمد. (2018). ﴿ وضع الإمام ياسين الفكر الإنساني فوق منضدة التشريح فتناوله بكل موضوعية﴾، **جماعة العدل والإحسان**. تم الاسترجاع بتاريخ 12/ 9/ 2021، http://bit.do/fTGUt

رفيع، محماد. (2012). **النظر الشرعي في بناء الائتلاف وتدبير الاختلاف**، القاهرة: دار السلام.

سحنون، ربيعة. (2020). ﴿المشترك الإنساني تشريع إلهي﴾، مجلة **إيقاظ**، مجلد 1، عدد1، أبريل، ص 96-100.

صدقي، رياض. (2018). ﴿ فلسفة المشترك الإنساني ودورها في احتواء الصدام الحضاري﴾، **ساسة بوست**، تم الاسترجاع بتاريخ 21/ 8/ 2021، http://bit.do/fTGUv

غارودي، روجي. (1999). **حوار الحضارات**، ترجمة: عادل العوا، ط4، بيروت: عويدات للنشر.

لمقدم، أحمد آيت. (2014). ﴿المشترك الإنساني في الرؤية القرآنية﴾، **أعمال الندوة العلمية الدولية: القرآن الكريم ورؤية العالم – مسارات التفكير والتدبير**، الرباط: الرابطة المحمدية للعلماء، ص 347-388.

لمنبهي، رجاء. (2020). ﴿ جوانب من البعد الإنساني في فكر الامام: قضية المرأة نموذجا﴾، **مدرسة الإمام المجدد عبد السلام ياسين**، تم الاسترجاع بتاريخ 12/ 9/ 2021، http://bit.do/fTGUy

ياسين، عبد السلام. (1979). ﴿عنوان لعملنا﴾، **مجلة الجماعة**، جماعة العدل والإحسان، المغرب العدد 1، ص 27-69.

ياسين، عبد السلام. (1989). **مقدمات في المناهج**، ط1، دون ناشر.

ياسين، عبد السلام. (1995). **الإسلام والقومية والعلمانية**، ط2، طنطا: دار البشير.

ياسين، عبد السلام. (1998). **الإحسان**، ط1، الدار البيضاء: مطبوعات الأفق.

ياسين، عبد السلام. (2000). **الإسلام والحداثة**، دار الآفاق.

ياسين، عبد السلام. (2000). **العدل: الإسلاميون والحكم**، ط1، دار الآفاق.

ياسين، عبد السلام. (2001). **الرسالة العلمية**، ط1، دون ناشر.

ياسين، عبد السلام. (2005). **سنة الله**، ط2، تطوان: مطبعة الخليج العربي.

ياسين، عبد السلام. (2009). **إمامة الأمة**، ط1، بيروت: دار لبنان للطباعة والنشر.

ياسين، عبد السلام. (2018). **تنوير المؤمنات**، بيروت: دار لبنان للطباعة والنشر.

ياسين، عبد السلام. (2018). **حوارات الماضي والمستقبل**، ط4، بيروت: دار لبنان للطباعة والنشر.

ياسين، عبد السلام. (2018). **حوار مع صديقي الأمازيغي**، ط2، بيروت: دار لبنان للطباعة والنشر.

ياسين، عبد السلام. (د.ت). **الإسلام غدا**، دون ناشر.

ياسين.نت، هيئة تحرير، (2014). ﴿مَعالم في سيرة الإمام المجدد عبد السلام ياسين رحمه الله﴾، **جماعة العدل والإحسان**، تم الاسترجاع بتاريخ 12/ 9/ 2021، http://bit.do/fTGUA

Abbas, H. R. (2021). ﴿In Search of a Universal Human Common Denominator: Religion, Ethics, and Communication in the Thought of Jürgen Habermas and Ṭāhā ʿAbd al-Raḥmān﴾. **Journal of Islamic Ethics**, V.5, pp. 1-27.

Bauman, Z. (2007). **Liquid Times: Living in an Age of Uncertainty**. Polity Press.

Huntington, S. P. (1996). "The West: Unique, Not Universal". **Foreign Affairs**, *V. 75*(6), November/December